

محددات اللغة والفكر في مشروع الجابري

محمد همام
باحث مغربي



قسم العلوم الإنسانية والفلسفة

محددات اللغة والفكر في مشروع الجابري*

* تمثل هذه الدراسة المطلب الثالث من المبحث الأول لكتاب "جدل الفلسفة العربية بين محمد عابد الجابري وطه عبد الرحمن البحث الغوي نموذجاً" للدكتور محمد همام، صدر الكتاب عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث سنة 2013.

تمهيد: بين اللغة والفكر

يرى شومسكي أن اللغة واحدة من الخصائص المقصورة على النوع الإنساني في مكوناتها الأساسية؛ فهي جزء من الإعداد الإحيائي المشترك الذي لا يختلف فيه أعضاء النوع الإنساني إلا من أصيب بعيب عضوي شديد. وبضيف أن اللغة تدخل بطريقة جوهرية في الفكر والفعل والعلاقات الاجتماعية¹. من هنا نستنتج أن البحث في قضية اللغة، مهما كان منهجه وغاياته، يحيلنا مباشرة على علاقة الإنسان بالظاهرة اللغوية، وعلى طرح تساؤلات مبدئية حول ديمومة لقاء الإنسان باللغة منذ بدايته. والتفكير في هذا الأمر، على تنوعه وطرافته، تكتنفه مضايقات نظرية ومنهجية؛ أولاها التفكير في اللغة وباللغة في الوقت نفسه، أو بعبارة أخرى اعتبار اللغة مادة للفكر وموضوعاً له.

لقد شكلت اللغة، لذلك، شاغلاً من شواغل حقول المعرفة المتعددة، واحتلت في المنظومة الفكرية الحديثة اسمى الأمكنة في مستويات الظاهرة الفكرية، بل صار متعزراً للبحث في أصول المنهجيات الفكرية، من دون وصف الأصول اللغوية لها أو كشف الجذور المتواشجة بين طروحاتها والأسس المرجعية اللغوية المستندة إليها. فاللغة ذات سلطة تصورية، تمارس تأثيرها على متكلميها؛ إذ بسبب كونها نظاماً رمزياً لا شعورياً تفرض على أفرادها نظم ترميز معينة تكون بمثابة أسس ومرجعيات ثقافية للتفكير؛ فحسب إدوارد سابير "الناس لا يعيشون في العالم الموضوعي فقط، ولا في عالم النشاط الاجتماعي كما يفهم في العادة، بل هم واقعون تحت رحمة اللغة التي أصبحت وسطاً للتعبير في المجتمع الذي يعيشون فيه. وإنه لمن الوهم كلياً التخيل بأن أحداً يتلاءم مع الواقع من غير ما استناد إلى اللغة، وأن اللغة مجرد وسيلة عارضة لحل مشكلات التوصيل والتأمل. فواقع الأمر يكمن في أن "العالم الواقعي" مبني إلى أقصى مدى بناء لا شعورياً على العادات اللغوية للجماعة"². وعليه، فقد تبنت أغلب الدراسات اللغوية الأطروحة القائلة بأن منظومة³ لغوية ما تؤثر في رؤية أهلها للعالم، وخرجت بخلاصات مفادها أن اللغة التي تحدد قدرتنا على الكلام هي نفسها التي تحدد قدرتنا على التفكير⁴.

¹ - اللغة ومشكلات المعرفة، نعم شومسكي، ترجمة د. حمزة بن قنبلان المزني، سلسلة المعرفة اللسانية، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 1990، ص 14

² - Edward sapir, *culture, language and personality*, university of california Press, 1965, p. 69

معرفة الآخر: مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، البنيوية، السيميائية، التفكيك، ابراهيم عبد الله وسعيد الغانمي وعلي عواد، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، حزيران 1990م، ص ص 50/49

³ - قولنا بالمنظومة يعني أن ليس فقط مفردات اللغة بل أيضاً النحو والتركييب.

⁴ - تكوين العقل العربي، مصدر سابق، ص 77

كان هذا ضبط مركز لعلاقة اللغة بالفكر عموماً، اتخذناه فرساً تمهيدياً لمعالجة هذه العلاقة في الثقافة العربية في ضوء مشروع الجابري.

ويذكر الجابري في بداية تناوله لهذا الموضوع، أن الأمر لا يتعلق بتناول العلاقة بين اللغة والفكر من الناحية المنطقية – الفلسفية، ولا من الناحية السيكلوجية، ولا حتى من الناحية اللسانية السيميائية، وإنما يندرج عمله في إطار ما يسمى: "الإبستمولوجيا الثقافية"؛ أي البحث في أساسيات المعرفة، ونظامها وآليات إنتاجها داخل الثقافة العربية، انطلاقاً من مسلمة أن كل ثقافة تحمل جنسية اللغة التي تنتجها. ولتبرير دور اللغة العربية الرئيس في تشكيل العقل العربي، يرى الجابري أن "العربي يحب لغته إلى درجة التقديس، وهو يعتبر السلطة التي لها عليه تعبيراً ليس فقط عن قوتها، بل عن قوته هو أيضاً؛ ذلك لأن العربي هو الوحيد الذي يستطيع الاستجابة لهذه اللغة والارتفاع إلى مستوى التعبير البياني الرفيع الذي تتميز به"⁵.

وعلى الرغم من أن آراء الجابري حول قضية اللغة والفكر مبثوثة في ثنايا مشروعه العلمي إلا أنه يمكن اعتبار الفصل الرابع من الجزء الأول، المعنون بـ "الأعرابي صانع "العالم" العربي" بمثابة تفصيل وتكثيف لكل آرائه في هذا الموضوع؛ حاول فيه الوقوف، حسب تعبيره، على الكيفية التي تحدد بها اللغة العربية الفصحى نظرة العربي إلى العالم. وعمل على رصد خصوصيات العلاقة بين اللغة والفكر العربيين على عدة مستويات أهمها: مستوى المادة اللغوية ونوع الرؤية التي تقدمها عن العالم، ومستوى القوالب النحوية وطبيعتها المنطقية، ومستوى أساليب البيان العربي وطبيعتها الاستدلالية.

وإيماناً منا، مسبقاً، أن هذا الدور الذي أعطاه الجابري للغة العربية في تحديد ماهية الإنسان العربي، هو أمر مبالغ فيه؛ إذ لج بنا في تأملات فلسفية "ميتافيزيقية"، بعيداً عن التناول الإبستمولوجي الذي ألزم الجابري نفسه به، فإننا سنحاول عرض آرائه، لما في بعضها من جدة تحليل ودقة ملاحظة، ولما يحتاج إليه بعضها من نقد بل تصويب. كما نلفت الانتباه إلى أن الوقوف عند قضية لغوية واحدة، أي قضية اللغة والفكر، لا يعني تجاهل قضايا أخرى ذات طبيعة لغوية في المشروع، ولكن مسوغ عملنا هذا هو اعتبارنا قضية اللغة والفكر الأصل والمركز وما دونها فروع وهوامش.

⁵ - تكوين العقل العربي، ص 77

1- المادة اللغوية ورؤية العالم

يرى الجابري أن عصر التدوين هو عصر البناء الثقافي في التجربة الحضارية العربية الإسلامية، ويمتد زمنياً بين منتصف القرن الثاني والقرن الثالث للهجرة. وبنه الجابري إلى أن عصر التدوين لا ينبغي أن يفهم فقط في ذلك العمل الجبار الذي بذله علماء العربية في الجمع والتسجيل والتقيد، بل ينظر إليه بوصفه إعادة البناء الثقافي، وتشكيل الإطار المرجعي للفكر العربي بمختلف ميادين. إنه عملية الحذف والزيادة والإبراز والإخفاء والتأويل بدوافعه السوسيوثقافية المتعددة؛ هو العصر الذي دونت فيه اللغة العربية، وشيدت فيه العلوم العربية الإسلامية، وترجمت "علوم الأوائل" وفلسفاتهم.

ويخلص الجابري إلى أنه إذا كانت الفلسفة هي معجزة اليونان فإن علوم العربية هي معجزة العرب؛ إذ لا يمكن للمرء إلا أن يقف مجاً ذلك العمل العظيم الذي أنجز في عصر التدوين؛ فهو أشبه شيء بالمعجزة⁶، نظراً إلى السرعة التي تم فيها الانتقال بلغة قائمة على الفطرة والطبع والسليقة، لغة لا تفهم إلا بالعيش وسط القبائل التي تتكلمها، إلى لغة قابلة للاكتساب والتعلم كما تتعلم العلوم اعتماداً على مبادئ ومقدمات منهجية صارمة. إنه بكلمة واحدة، حسب الجابري، "الانتقال باللغة العربية من مستوى اللاعلم إلى مستوى العلم"⁷؛ علم اللغة متكامل، بجمع المفردات وإحصائها، وضبط المشتقات وتصريفها، ووضع قواعد التركيب، ورفع اللبس عن الكتابة باختراع النقط والشكل ووضع العلامات والرموز. ويذكر الجابري أن ما يهمله أكثر هو "عملية البناء ذاتها، تلك العملية التي لا سبيل للشك فيها كحدث تاريخي؛ إن شئنا الدقة أكثر قلنا ما يهمننا في عملية البناء تلك، ليس مواد البناء، أعني المعطيات التاريخية، بل طريقة البناء وفعل البناء نفسه"⁸. من هنا حاول الجابري طرح أسئلة ملحة حول زمن بدء الوعي العربي بالتفكير في عملية البناء تلك أو التدوين. ولتفكيك عناصر تلك التساؤلات للمقاربة والتحليل، ذكر الجابري أن مرحلة الوعي تلك ابتدأت مع مهاجمة الشعوبية للماضي العربي والظعن فيه فكراً وثقافة وحضارة، فكان رد الفعل العربي الطبيعي هو الدفاع عن الماضي العربي، خاصة العصر الجاهلي، بل تحول الأمر إلى دفاع عن الهوية والوجود؛ فأضحت مسألة التدوين، إذن، مسألة مصير؛

⁶ - تكوين العقل العربي، ص 80

⁷ - نفسه. (في التعامل مع مصطلح "علم" يجدر بنا التنبيه إلى أن الجابري يميز بين تدوين العلم وتبويبه، وهو ما قام به علماء العربية، وبين إنتاج العلم بدءاً؛ فتدوين العلم معناه أن العلم جاهز، وأن مهمة المدون، أي العالم، تنحصر أو تكاد في التقاطه وجمعه وتبويبه، الأمر يتعلق إذن بجمع الموروث الفكري العربي الإسلامي، وتصنيفه إلى فروع يشكل كل منها "فنًا" من فنون العلم والمعرفة، مستقلاً بنفسه أو يكاد. ينظر: تكوين العقل العربي: 64/63. وعلق عزيز العظمة على هذا الرأي بقوله: "مقولة أن العلم جاهز، وأن العلماء دونوه بإضافة التبويب لا غير، مقولة غير صحيحة تاريخياً؛ إذ لم يكن العلم جاهزاً في لغة العرب وفي الفضاء الفكري للأعرابي، ولا كان جاهزاً في القرآن، بل كان البيان محاولات متجددة لتحويل الحاضر إلى وقائع أي إلى أمور ذات مرتكزات في خطاب الشرع، في الكلام الإلهي والمحمدي"، ينظر عزيز العظمة، أنوال الثقافي، 36، مرجع سابق).

⁸ - تكوين العقل العربي، ص 60

فالماضي يهاجم لا من أجل ذاته، ولكن من أجل الحاضر والمستقبل. أمام هذه الظروف النفسية والحضارية والتاريخية اكتسب التدوين شرعيته وتوضحت ضرورة البناء الثقافي الشامل.

إن عملية التدوين، تحت هذه الضغوط النفسية، حسب الجابري "هي إعادة ذلك الموروث الثقافي بالشكل الذي يجعل منه، تراثاً" أي إطاراً مرجعياً لنظرة العربي إلى الأشياء، إلى الكون والإنسان والمجتمع والتاريخ"⁹. من هنا يخلص الجابري إلى أن عصر التدوين بالنسبة إلى الثقافة العربية إنما هو الإطار المرجعي الذي يشد إليه بخيوط من حديد جميع فروع هذه الثقافة، وتضم مختلف تموجاتها اللاحقة (...). إن صورة العصر الجاهلي، وصور صدر الإسلام والقسم الأعظم من العصر الأموي إنما نسجتها خيوط منبعثة من العصر التدويني¹⁰. لقد ترابطت إذاً بنية العقل العربي مع العصر الجاهلي، "لا العصر الجاهلي كما عاشته عرب ما قبل البعثة، بل العصر الجاهلي كما عاشه في وعيهم عرب ما بعد ترتيبه وتنظيمه في عصر التدوين"¹¹.

إن اعتقاد الجابري، كما أسلفنا، بأن اللغة ليست أداة للفكر فقط، بل هي أيضاً القالب الذي يتشكل فيه هذا الفكر¹²، جعله ينظر إلى اللغة العربية الفصحى، لغة المعاجم والشعر والآداب، على أنها ما زالت تنقل لأهلها عالماً بعيداً عن عالمهم؛ عالم البداوة الذي استنسخته اللغة العربية في العصر الجاهلي. يعيشونه في أذهانهم ووجدانهم وخيالهم، وهو يعاكس تماماً عالمهم الحضاري الآني والمعقد. وعلى هذا الأساس بنى الجابري خلاصته المركزية وهي أن الأعرابي فعلاً هو صانع العالم العربي؛ عالم البساطة والبداوة والحس! فما كفاية هذه الخلاصات وما مصداقيتها؟.

أولاً لا بد من التنبيه إلى أن للتدوين أهميته وخطره؛ فالمادة المدونة هي الأساس الذي يلتقط المرء صنوف المعرفة التي يثقف بها نفسه ويروض بها عقله، ثم تختمر فيه لتجعل منه بعد ذلك منبعاً معطاءً سواء في مجال التصنيف والتبويب، أو في فن الكتابة والتأليف، أو في تشكيل ثوابت التفكير العقلي وإنتاج المعرفة العلمية. ولكن إذا تساءلنا عما إذا كان هناك تدوين قبل الإسلام في النطاق العربي، فكيف تصير رؤية الجابري لعصر التدوين هذا؟ وإذا اعتبرنا أن وضع اللغة العربية على أساس من الحس ومن الرصيد الحسي، مما لا يمكن أن نفرد اللغة العربية وحدها به، إذ لا يمكن أن نخرج منه أي لغة من اللغات الطبيعية والتي لا بد أن تتبنى في أساسها على رصيد حسي، فكيف يكون الأعرابي صانعاً للعالم العربي؟

⁹ - تكوين العقل العربي، ص 64

¹⁰ - نفسه، ص 62

¹¹ - نفسه، ص 61

¹² - نفسه، ص 77

الواقع أن التدوين بالشكل المؤلف الذي يؤدي إلى صور المعرفة متعددة الألوان لم يكن معروفاً قبل الإسلام، باستثناء حالات قليلة لا تنهض أساساً يمكن أن ننطلق منه إلى عطاء يؤدي إلى معرفة واسعة لإنتاج علم متميز، وبالتالي تجاوز رؤية الجابري لعصر التدوين الذي حصره زمانياً في مرحلة تالية للعصر الجاهلي.

إلا أن الثابت أن بعض القبائل العربية خاصة الحميريين كانت تدون أخبارها والكثير من حوادثها على الأحجار بخطها ورموزها الخاصة بها. وعرف على أطراف الجزيرة العربية أهالي الحيرة بالكتابة وإن بشكل محدود. وفي الحجاز وجد عدد قليل من الناس يعرفون الكتابة. وكانت قلة من الشعراء كذلك تعرف الكتابة بل كان بعضهم يكتب قصائده وينسقها بنفسه ويراجعها من حين إلى آخر.

ولا يمكن أن تعتبر هذه الأعمال إلا شكلاً من أشكال التدوين، رغم بساطتها مادياً وعملياً؛ إذ تبقى على مستوى الوعي بعملية التدوين مهمة، ويكون بذلك الجمع والتدوين منطلقين من اقتناع تلقائي منبعه الأوضاع الحضارية والتاريخية الطبيعية للبلاد العربية¹³، وليس فقط منطلقه ردود أفعال على هجمات الشعوبية وطعناتها كما ذكر الجابري؛ إذ لو لم تكن الشعوبية فهل سنظل في المرحلة الثقافية الشفوية إلى اليوم؟

أما القول بأن الأعرابي صانع العالم العربي، اعتماداً على المنهج الذي سلكه جامعو المادة اللغوية، فهو في نظرنا تعميم خاطئ، لأسباب متعددة:

1. الحديث عن تحكم الأعرابي في العلماء وآرائهم بالتصويب والتخطئة، لما اكتسبه من صفتي البداوة والفصاحة، وتحوله إلى قانون ينصاع له العلماء وينفذون مشيئته، كلام مبالغ فيه¹⁴؛ فلقد أكدنا منذ البداية أن جمع اللغة من البدو لا يدل دلالة قاطعة على أن الحصيلة: لغة بدوية، وكذلك الحضارة والفكر؛ فتوجه العلماء إلى البدو كانت تحكمه رؤية منهجية صارمة تحاول رصد متكلم مستمع مثالي يعيش في مجتمع متجانس لغوياً، يتقن لغته إتقاناً ولا تؤثر في سلوكه أي عاهة. إنه بحث عن قيم نسقية مجردة تحكم لغة الأعرابي وتصف سليقته. إضافة إلى أن أخذهم لغة الأعرابي لم يكن على مستوى التركيب بالدرجة الأولى، كما لا يشكل المعجم إلا مستوى بسيطاً جداً. وعليه يجب التركيز على جميع المستويات صوتياً وصرفياً ومعجمياً وتركيبياً ودالياً

¹³- مناهج التأليف عند العلماء العرب، قسم الأدب، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين بيروت، فبراير (شباط) 1973م.

¹⁴- نشير هنا إلى مجهودات بعض العلماء في تصحيح أغلاط الأعراب، وضبطهم لوضاعي اللغة ومقتعلها. ومن نماذج العلماء المصححين سيبويه وابن جني، مما يعني أن سلطة الأعرابي ليست بالشكل الذي صوره الجابري وبنى عليه خلاصاته؛ جاء في طبقات ابن سلام "أخبرني أبو عبيدة أن ابن داوود بن متم بن نوبرة قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي من الجلب والميرة، فنزل النحيت، فأتيته أنا وابن نوح العطاردي، فسألناه عن شعر أبيه متم، وقمنا له بحاجاته وكفيناها ضيعته، فلما نفذ شعر أبيه، جعل يزيد في الأشعار ويصنعها لنا، وإذا كلام دون كلام متم، وإذا هو يحتدي على كلامه، فيذكر المواضع التي ذكرها متم، والوقائع التي شهداها، فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله. ينظر: طبقات فحول الشعراء، ص 48/47

وتداولياً. إن بناء علاقة اللغة والفكر انطلاقاً من المعجم يدل على خلل في التصور اللساني للظاهرة اللغوية بجميع مكوناتها.

2- الطابع الحسي للغة العربية:

إذا سلمنا بتداخل اللغة مع الفكر والتصورات، فالفكر نفسه يعتمد على جهاز الحواس، واللغة بدورها تنطلق من مفاهيم حسية لتطورها إلى أخرى تجريدية في إطار عملية تطور ذاتي يتجاوز ما هو مادي شكلي إلى ما هو معنوي تصوري، وإلا كيف نفسر قاموس الغزل العربي برمته، وكذلك الرثاء وما يزرخان به من مفاهيم معنوية كالشوق والحب والهجران والحزن والأسى... وغيرها من المفاهيم التي تنبئ عن عقلية تجريدية لا حسية فقط. أضف إلى ذلك القاموس الصوفي الضخم، الذي لا نبالغ إذا قلنا بطابعه التجريدي كلية؛ فالرصيد الحسي، إذاً، ضروري في بناء أي لغة من حيث هو أساس وأصل للانتقال إلى المستوى التصوري التجريدي.

إن ضبط الجابري لعلاقة الفكر واللغة من هذه الزاوية أي "الطابع الحسي" ينم، كما أسلفنا، عن انعدام برنامج لساني ذي تصور نظري منهجي متماسك، يؤطر فيه تناول الظاهرة اللغوية، بل على العكس من ذلك نجد تحليل الجابري يطبعه كثير من التعميم والحسم في قضايا لغوية هي إلى الآن مثار نقاش وجدال في الوسط اللساني الأكاديمي. وكان أجدر بالجابري أن يؤطر تحليله هذا في إطار علمي مضبوط، وليس في إطار الإسقاطات الفلسفية كما كان عند النحاة الفلاسفة. وكان عليه تجاوز تلك العلاقة المبهمة والغامضة ذات الطابع الفلسفي الميتافيزيقي بين اللغة العربية والفكر العربي. إن طغيان التصور الفلسفي في التحليل هو ما اسقط الجابري في عدد من الأخطاء ليس أقلها الخلط بين تناول اللغة في إطار عمل لساني موضوعي له محدداته وضوابطه، وتناولها في إطار ثقافي عام تحكمه دعاوى غير مدلل عليها، إن كانت لها مسوغاتها الواقعية والتاريخية فهي تبتعد عن الحقيقة العلمية.

وجماع القول: إن رصد العلاقة بين اللغة والفكر من هذه النقطة في مشروع الجابري، افتقد إلى الكفاية النظرية والإجرائية؛ فالخلل وقع منذ البدء، وهو عدم طرح مبادئ ومسلمات نظرية وقرارات منهجية موازية على شكل تساؤلات محورية تمسك بتلابيب الظاهرة اللغوية في عمومها من نحو¹⁵.

- ما الذي يميز اللغات الطبيعية عن غيرها من اللغات؟

¹⁵- ينظر: اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، الكتاب الأول، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 1985، ص 14 (نشير إلى أن الفاسي الفهري طرح تلك التساؤلات في سياق نموذج لساني تحليلي محدد. واستدعونا لهذه الأسئلة هنا ليس خلطاً بين السياقات، ولكن مرده إلى أن هذه المقاربة لتلك الأسئلة يساعد إلى حد كبير في تناول علاقة اللغة والفكر تناولاً لسانياً مضبوطاً، إضافة إلى أنها أسئلة تلخص بها اقتراحاً بديلاً).

- ما هي السمات التي تلتقي فيها اللغات وما هي السمات التي تختلف فيها؟
- إلى أي مدى تغيرت اللغات وإلى أي مدى ظلت قارة؟

3- أساليب البيان العربي والهوية الاستدلالية

يرى الجابري أنه إذا كان السماع من الأعرابي قد رسم حدود العالم الحسي الذي تنقله اللغة العربية الفصحى إلى متكلميها، فإن مجهود النحاة قد قوّل العقل الذي يمارس فعاليته في اللغة العربية وبواسطتها. وذهب إلى حد القول بأن السماع من الأعرابي لم يكن من أجل أخذ اللغة، فحسب، بل وفي أحيان كثيرة، من أجل "تحقيق" و"تثبيت" فروض نظرية في اللغة والنحو¹⁶؛ فتحوّلت اللغة المعجمية بذلك إلى لغة "إمكان ذهني" لا لغة "إمكان واقعي"؛ فالكلمات صحيحة لتوفرها على أصل ترد إليه أو نظير تقاس عليه. وأصبحت اللفظة في الغالب فرضاً نظرياً وليست معطى من معطيات الاستقراء أو التجربة الاجتماعية. ولتناول هذه القضية اتخذ الجابري منهج الخليل أنموذجاً لتحليله.

أوضح أولاً أن ما شده كباحث إبستمولوجي معاصر، وهو يتناول منهج الخليل في جمع اللغة وهيكلته معجمه "العين"، هو ذلك المبدأ المنهجي الدقيق الذي اعتمده في فرض النظام على شتات اللغة العربية؛ مبدأ ينم عن عقلية رياضية فذة، عقلية ذات ذوق موسيقي مرهف ساعد الخليل في استنباط أوزان الشعر العربي¹⁷. لقد وظف الخليل، إذًا، حدسه الرياضي الحاد في وضع قوالب نظرية افتراضية لا تعدم أصولاً في واقع اللغة. بل ذهب الجابري إلى أن الخليل يتعامل مع الحروف العربية الهجائية الثمانية والعشرين كمجموعة أصلية اشتقت منها المجموعات الفرعية الكاملة فيها، والمشتمة على عنصرين إلى خمسة عناصر، إنما كان يطبق بوعي جانباً أساسياً من العمل الرياضي المؤسس لنظرية المجموعات في صيغتها المعاصرة¹⁸. إن منهج الخليل، بنظر الجابري، على دقته وضبطه، كان سيفاً ذا حدين؛ فمن جهة قنن اللغة العربية وجعلها علمية مضبوطة، ومن جهة ثانية، ونظراً إلى تعامله الرياضي الصرف مع الحروف الهجائية العربية، وحصره لأنواع الألفاظ الممكن تركيبها منها ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية، ينظر إلى هذا العمل على أنه وضع للغة العربية بالجملة، وصب لها في قوالب نظرية جاهزة، مما عمل على تحصين العربية من كل تغير وتطور تاريخيين. فبقيت اللغة العربية منذ زمن الخليل هي هي، لم تتغير لا في النحو ولا في معاني الألفاظ ولا في طريقة التوالد الذاتي، فتكرست لا تاريخية اللغة وبقيت في طابعها الحسي البدوي الأول.

¹⁶ - تكوين العقل العربي، ص ص 47/48

¹⁷ - يرى الجابري أن لا غرابة في الجمع بين الذوق الموسيقي والحدس الرياضي؛ فالموسيقى يومئذ كانت فرعاً من فروع الرياضيات.

¹⁸ - تكوين العقل العربي، ص ص 81/82

لقد أطر النحاة، إذًا، كلام العرب في قوالب منطقية صورية وصوتية في الغالب، بل فرضوها ليقبوا على اللغة العربية كلغة مصنعة في قوالب جامدة ذات نغمة موسيقية، حتى أصبحت الموسيقى تحل محل المعنى وتجعل مصفوفة من الكلمات ذات معنى حتى ولو لم يكن لها معنى! بكلمة واحدة، أصبحت الأذن تنوب عن العقل في تمييز المعنى بل وتعشقه قبله. وفي ذلك يقول الباحث محمد المبارك: "إن قوالب الألفاظ وصيغ الكلمات في العربية أوزان موسيقية؛ أي أن كل قالب من هذه القوالب وكل بناء من هذه الأبنية نغمة موسيقية ثابتة (...). فأشكال الألفاظ في العربية هي من جهة أبنية وقوالب وهيئات، ومن جهة أخرى أوزان موسيقية تدرجها الأذن بسهولة ويسر، فيدرك السامع جزءاً من المعنى بمجرد إدراكه وزن الكلمة. واتفاق الألفاظ في الوزن دليل في غالب الأحوال على الإتفاق في قالب المعنى أو نوعه كالآلية والمكانية والتفضيل أو المفعولية، فالكلام العربي، نثرًا كان أو شعرًا، هو مجموع الأوزان، ولا يخرج عن أن يكون ترتيباً معيناً لنماذج موسيقية. والمقابلة بين نغمة الكلام وموضوعه قائمة واضحة في اللغة العربية¹⁹. إن الطابع المنطقي للقوالب النحوية العربية، كما يرى الجابري، لا يمكن التثبت منه إلا بعقد مقارنة لا تخلو من فائدة بين هذه القوالب النحوية والمقولات الأرسطية. فالبعض يرى ارتباطهما الوثيق؛ إن لم تكن القوالب النحوية العربية قد استخلصت من مقولات أرسطو. ولإيجاد مسوغ المقارنة يؤكد الجابري على أن طريقة اللغويين بشكل عام تعتمد الاشتقاق. هذه العملية التي تؤخذ من صيغة الفعل أو مما هو في معناه كالمصدر. وعملية الاشتقاق لا تخضع للسمع، بل وضعت لها أوزان هي قوالب منطقية بالنسبة إلى النحو والنحاة؛ كالمقولات بالنسبة إلى المنطق والمناطق.

إن التفكير، إذًا، في اللغة العربية وفي اللغات السامية عموماً، ينطلق من الفعل عكس اللغة اليونانية واللغات الآرية، وهذا ما يسوغ وضع جدول مقارنة بين "الجوهر" وما يحمل عليه في منطق أرسطو، و"الفعل" وما يشتق منه في النحو العربي²⁰.

| عند أرسطو | عند النحاة العرب |
|-----------|--|
| الجوهر | الفعل |
| الكم | اسم المرة، أمثلة المبالغة |
| الكيف | اسم الهيئة، الصفة المشبهة، أفعال التفضيل |

¹⁹ - فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك دار الفكر، بيروت، 1975م، ص ص 282/280

²⁰ - ينبه الجابري إلى اتقاء اللبس في كون البصريين يقولون بأن المصدر هو أصل المشتقات، عكس الكوفيين الذين يقولون بالفعل. فالجابري أولاً، يرى بأن الكوفيين كانوا المعبرين الحقيقيين عن طبيعة اللغة العربية، وهذا فيما نعتقد، حسم في أمر خطير، ثانياً: يرى الجابري أن المصدر عند النحاة هو فعل بدون زمان، من هنا يجب التنبيه إلى طبيعة الجملة الاسمية في العربية، فهي ليست موضوعاً ومحمولاً كما في منطق أرسطو، ولكنها مبتدأ وخبر، فالأمر هنا لا يتعلق بحمل معنى من المعاني على موضوع وبالتالي إصدار حكم، بل يتعلق بالأمر بالإخبار عن اسم وقع الإبتداء به، وهو في أصله فاعل صدر منه الفعل، أو قام به وهو متأخر عنه، أما في الجملة اليونانية والآرية عموماً فالأمر يتعلق بإصدار حكم والبرهنة عليه. إنه لا يخفى ما يحمله هذا التنبيه من تحامل؛ إذ يتم اختزال الجملة العربية في بعدها الوظيفي الإخباري البياني فقط، في حين تكون الجملة اليونانية ذات طابع برهاني إقناعي.

| | |
|----------|-------------|
| الإضافة | ؟ |
| المكان | اسم المكان |
| الزمان | اسم الزمان |
| الوضع | ؟ |
| الملكية | ؟ |
| الفعل | اسم الفاعل |
| الانفعال | اسم المفعول |
| ؟ | المصدر |
| ؟ | اسم الآلة |

ومن الملاحظات التي استخلصها الجابري من هذه المقارنة، هي أن غياب مقولات الإضافة والوضع والملكية من المشتقات النحوية العربية مرده إلى مرجعية لغوية ميتافيزيقية وحيدة، لا تستسيغ حمل هذه المقولات على الإنسان؛ لأن الدين يمنع ذلك، إنها تحمل فقط على الإنسان في التعبير اللغوي على سبيل المجاز؛ فالمالك هو الله وما يضاف للإنسان هو من عند الله، وكذلك الوضع هو من عند الله. وبالمقابل فخلو مقولات أرسطو من المصدر واسم الآلة راجع إلى تصور فلسفي منطلقه أن المصدر عند النحاة هو ما يدل على فعل دون زمان، في حين العقلية اليونانية تستبعد حدوث فعل خارج الزمان.

هذه خلاصة ما خرج به الجابري في تحليله للقوالب النحوية العربية، وهو يحاول دائماً تأكيد معطى مبدئي وأولي وهو أن اللغة العربية محدد أساسي في الفكر العربي، إلا أن ما خرج به من خلاصات يحتاج إلى تسجيل بعض الملاحظات النقدية:

في البداية، لا بد من التأكيد على أن الدراسات اللغوية العربية عموماً والنحوية على الخصوص اتسمت بالصعوبة والتعقيد لانعدام التصور المنهجي السليم للظاهرة اللغوية، ولغياب التجديد في مناهج الدرس والتحليل، فوقع الخلط في التفكير اللغوي. ولهذا، فأى تناول للظاهرة اللغوية في هذا المستوى، لا بد وأن يضع أمامه هذه الإعتبارات. ثم إننا نعتقد أن الجابري وهو يناقش القوالب النحوية العربية، لم ينطلق مما ينبغي الانطلاق منه، وهو طرح الإشكالات الرئيسية التي ينبغي الخوض فيها؛ فغاب عنه أن البحث في النحو العربي يطرح إشكالات عميقة وهو مفهوم "النحو" في حد ذاته أولاً، ثم المادة اللغوية والمعطيات اللغوية التي يقوم اللغوي بوصفها ثانياً. فلفظ "نحو" استعمل بكثرة في تحليل الجابري دونما تحديد. إنه لا تكفي إدانة النحاة القدماء حتى نظن بأننا نبحت في موضوع النحو؛ إدانتهم لإدخالهم أدوات ومفاهيم منطقية في تعبيداتهم، ولاصطناعهم تراكيب لم تكن موجودة في الواقع اللغوي ولم تتكلم بها العرب. لقد أهمل الجابري أن هدف

الدراسة النحوية في عمومها "وضع قواعد من شأنها تمييز الأشكال الصائبة عن الأشكال الخاطئة؛ فهي ذات منحى معياري، إذ لا تولي أي أهمية للملاحظة الصرف، وترى أن عليها أن تسن قواعد بدل ملاحظة وقائع. غير أن لا مجال لمؤاخذة وجهة نظر النحاة بحيث تبين أعمالهم بوضوح نيتهم في القيام بوصف حالات Etats الألسنة، فبرنامجهم تزامني²¹. إن الدراسة النحوية بهذا المعنى ذات طابع نفسي لساني وكذلك آلي، تطمح إلى بناء نماذج للاستعمال والإدراك. بكلمة واحدة، إن الجابري لم يكن ينظر إلى النحو كأداة واصفة تحاول تغطية المادة اللغوية وضبط السليم منها تحت توجيه قيود منهجية طبيعية في المجال التنظيري لا داعي للتضايق منها.

أما على مستوى المادة اللغوية فقد غيب الجابري تساؤلات مهمة حول المعطيات التي نجدها عند القدماء؛ فكما يؤكد عبد القادر الفاسي الفهري، فهذه المعطيات "ليست ناقصة أو غير ذات تمثيلية فحسب، بل هي أيضاً معطيات زائفة في بعض الأحيان (...). لقد طرح النحاة على أنفسهم بكيفية ضمنية مشكلة تحديد المعطيات التي كانت في متناولهم، فلم تكن هذه المعطيات ذات تمثيلية بالنسبة إلى وصفهم، ولا ذات دلالة بالنسبة إلى تأملاتهم، ولقد اتخذ بعض النحاة، مثل سيويوه، احتياط الإشارة إلى أن ما يقدمونه من أمثلة ينتزل منزلتين مختلفتين؛ فبعضه من "كلام العرب"، أي أخذ عن الأعراب وسمع منهم، بينما بعضه الآخر "تمثيل ولا يتكلم به"، أي يؤتى به لأغراض التحليل دون أن يكون معطى لغوياً حقيقياً"²².

إن هذه الاحتياطات لم يأخذ بها الجابري، فكانت ملاحظاته على النحاة، خاصة الخليل، ناقصة بل غريبة لم تميز بين النحو الواصف للمادة اللغوية بشروطها المذكورة، وبين قراءة التراث النحوي العربي في إطار الهم الثقافي العام الذي ينهض مشروع الجابري الفكري ككل لتأسيسه.

وفي نقد الجابري لمنهج الخليل، يرى أن هذا الأخير قد حول اللغة العربية إلى بنية صورية محصورة، وهذا أمر مخالف لما هو واقع؛ فاستعمال الخليل لمقولتي المهمل والمستعمل في تصنيفه خير دليل على انفتاحية اللغة لا على انغلاقها، بل إن ما استعمل من العربية إلى الآن هو قليل جداً مقارنة بما لم يستعمل أي المهمل، أضف إلى ذلك، وهذا أمر أكدناه في تحديد مفهوم النحو، أن الخليل كنحوي كان معتمده في التصنيف الوصف، ولم يكن في وقت من الأوقات يستنبط الألفاظ استنباطاً. أما إضفاء مواصفات "الرياضي" عليه، فيستوجب الحذر وأخذ الكلام في بعده المجازي الاستعاري لا الحقيقي الواقعي. كما أن ظاهرة الاشتقاق التي وظفها الخليل كانت مؤشراً على الحركية الداخلية التي تميزت بها اللغة العربية ولم تكن قط عائق تطور أو تغيير؛ قال ابن

²¹- ينظر: مدخل للسانيات سوسير، امبارك حنون، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 1987م، ص 12

²²- اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، ص ص 55/54

جني متحدثاً عن مبدأ التغيير الطارئ على الظاهرة اللغوية: "... وهذا ونحوه مما يدل على تنقل الأحوال لهذه اللغة واعتراض الأحداث عليها وكثرة تغولها وتغيرها"²³.

أما الحديث عن "نغمة الكلام وموضوعه"، أو موسيقية الألفاظ، وما ذكره الجابري والباحث محمد المبارك من أن المعنى يدرك بالأذن لا بالعقل، فعلى ما تدل عليه هذه الأحكام من نقص تحليل وضيق رؤية، وما يمكن أن تخفيه وراءها من "همزات استشرافية" شعورياً أو لا شعور، بما تحمله من استهزاء بقدرة الإدراك العربي، على رغم من كل هذا وذاك لا بد من التنبيه إلى أن القول بأن علماء العربية قد صبوا معانيهم العامة ومقولاتهم المنطقية في أبنية وقوالب خاصة لا يزيكه الواقع اللغوي؛ إذ في كلام العرب نفسه ما يخرق هذا الادعاء؛ فمثلاً كثيراً ما تأتي صيغة "فاعل" بمعنى "مفعول" أو "فعل" بمعنى "فاعل"، فكيف يدرك المعنى في هذه الحالة؟

أما المقارنة التي عقدها الجابري بين مشتقات النحو العربي ومقولات أرسطو، فهي في حد ذاتها خير معبر على أن تصوره اللغوي ما زال مشدوداً إلى التفكير الفلسفي القديم، خاصة الفلسفة اليونانية التي تعتبر اللغة اليونانية مقياساً للغات العالم. وحول مقارنة الجابري تلك، يجوز أن نقول له ما قاله أبو سعيد السيرافي النحوي لمتى بن يونس المنطقي في المناظرة المشهورة، قال له: "... لقد موهت بهذا المثال ولكم عادة بمثل هذا التمويه (...). أنت إذن لست تدعوننا إلى علم المنطق، إنما تدعوننا إلى تعلم اللغة اليونانية، وأنت لا تعرف لغة يونان، فكيف صرت تدعوننا إلى لغة لا تعنى بها؟ وقد عفت منذ زمان طويل، وباد أهلها وانقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها، ويتفاهمون بتصاريفها."²⁴ إن المرجعية اليونانية كانت النص الغائب عند الجابري، بثوابتها وخلاصتها؛ أي إن اللغة اليونانية في تراكيبها وطرقها صادقة على كل لغات العالم، إذ إن هذه اللغات تجري على مقياس اليونانية²⁵. ولسنا في حاجة هنا إلى التأكيد أن هذه الأطروحة قد تجاوزها الدرس اللغوي الحديث، بل كشف ما تحمله من نزعات فلسفية ميتافيزيقية ضيقة. إلا أن الجابري أبى إلا أن يتجاوز معطيات الدرس اللساني الحديث، بل حتى منجزات تاريخ الفلسفة الحديثة فخرج بخلاصات تفتقد إلى أبسط المقومات الإقناعية، كإرجاع غياب مقولة "الملكية" من الاشتقاقات النحوية العربية إلى التصور الإسلامي الذي يجعل الملكية لله وحده، وكذا مقولتي الوضع والإضافة.

²³ - الخصائص، جزء: 1، ص 387

²⁴ - الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي اختار النصوص وأعدّها د. إبراهيم الكيلاني، دمشق، 1978، ص ص 150/151

²⁵ - مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص 22

كان لا بد، والحالة ما ذكرنا، أن يقع مثل ذلك الخلط، مادام الجابري مقتنعاً كل الاقتناع ببديله البرهاني الذي يتجاوز به "الأنظمة المعرفية التقليدية". هذا البديل الذي يستند في مرجعيته إلى التفكير الأرسطي الذي يخلط بين الدراسات اللغوية والدراسات المنطقية والميتافيزيقية.

إن اعتراضنا على مقارنة الجابري، وكذا على اتهامه النحو العربي بالنزعة المنطقية، لم يكن ليغيب عنا علاقة النحو العربي بالفكر اليوناني؛ إذ إن العلاقة ثابتة ولكن ليس إلى حد القول بأن النحو العربي منقول بالكامل، أو على الأقل متأثر في منهجه وأصوله وقواعده بالفكر الإغريقي. إن هذه القضية ليست منتهية تماماً كما أراد لها المستشرقون والوصفيون العرب، بل هي في حاجة إلى تحقيق تاريخي ونسقي متكاملين؛ مع اقتناعنا بأن "دخول المنطق إلى النحو لم يفد في إيراد نتائج أو مناهج أو أوصاف جديدة في اللغة، وإنما التغيير حصل في العبارات والصيغ، وإلا فالنحاة المتأخرون مثل المتقدمين لم يخرجوا إلا في جزئيات قليلة عن كتاب سيبويه (...). ولم تفد حدود المناطق سوى أنها أدخلت الإضطراب على المفاهيم النحوية"²⁶.

وإذا كانت القوالب النحوية في رأي الجابري تتضمن معنى المقولات المنطقية، فإن أساليب البيان العربي تشكل "برهان" الخطاب العربي؛ وأكبر نموذج صارخ بهذه الحقيقة، مجهود السكاكي الذي مزج الحديث عن البيان في مفتاح علومه بالحديث في الاستدلال، وهو مبحث منطقي صرف. ويرى الجابري أن لا مبرر لمؤاخذة السكاكي على ما اكتنف تنظيره من حشو وتطويل وتعقيد وتجريد وصل حد الترميز المبهم، لأنه يستحيل الفصل بين الخطاب المنطقي والخطاب البلاغي في التعبير العربي. وهذا رأي لا نراه ينسحب على مجموع الخطاب البلاغي العربي، بل يتعلق فقط ببلاغة علماء الكلام وبلاغة المناطقة والفلاسفة بشكل محدد.

ونحن لا نختلف مع الجابري في حديثه عن الفرق الكلامية، خاصة المعتزلة، وما بذلته لتشييد أركان البلاغة العربية لمواجهة منكري إعجاز القرآن من الزنادقة والشعوبيين؛ إذ نهضت الجهود لتحليل الخطاب العربي من داخله بحثاً عن "دلائل الإعجاز" وكشفاً "لأسرار البلاغة"، فاستكمل البلاغيون بذلك القسم الثاني من المنطق العربي، منطلق اللغة العربية. ويرى الجابري أن النحاة قد ابتدأوا العمل بتقنين الخطاب العربي وتحديد مقولاته وقوالبه المنطقية، وتم علماء البلاغة عملهم ذلك ببيان وجوه الإعجاز في نفس الخطاب،

²⁶ - "النحو العربي وصلته بالفكر اليوناني، الجانب التاريخي 1"، مجلة المنعطف المغربية، المرقى الإدريسي أبو زيد، مجلة فصلية ثقافية، عدد 5، 1413هـ/1992م، ص ص 121/107

(*) المقصود بأساليب البيان العربي الشق البلاغي وليس البيان على إطلاقه كما تأسس في اللغة والفقه والنحو والكلام، وكما مارسه المعتزلة أو الأشاعرة أو الحنابلة أو الظاهرية أو السلفية قدماء ومحدثين، رغم أن هؤلاء ينتمون إلى حقل معرفي واحد يؤسسه نظام معرفي واحد، حسب الجابري، هو النظام المعرفي البياني، وكنا قد سجلنا تحفظنا على التصنيف. فالحديث عن البيان بهذا المعنى ليس غابتنا هنا، لأن التفصيل في جميع ضروبه ليس باستطاعتنا في حيز ضيق، فأنحصرنا منهجياً عند الجانب البلاغي الاستدلالي، وحاولنا الوقوف عند نتائج دراسة الجابري لطبيعة الاستدلال البياني العربي، فناقشنا وعلقنا بشكل مركز جداً، لأن طبيعة الإشكال من شأنها أن تجرنا إلى مناقشة قضايا متفرعة ومتشابهة ليست من اختصاص الكتاب.

والكشف عن آلياته في البيان والبرهان. هذا الإعجاز البلاغي والبرهان البياني يراه الجابري شكلاً من أشكال "القمع الإستمولوجي" داخل الخطاب العربي، قوامه إخفاء الاختلاف وإظهار الائتلاف بواسطة مشاهد حسية ناطقة، تصرف المستمع عن المناقشة والاعتراض بل "وتفحمه" ليخرس على التو ويستسلم! وسر هذا السحر الإعجازي يكمن في "التشبيه"، الذي يعرض سلسلة متوالية من الشواهد الحسية التي تنتقل بالذهن من فكرة إلى أخرى دون أن تترك للعقل فرصة السؤال. إن كثافة الصور البيانية في الخطاب البياني العربي تشغل السامع عن ملاحظة العلاقة بين المعاني قصد التثبيت والتمحيص والمراجعة.

وبالتالي تكون حاجزاً أمام التفكير العقلي المنطقي الواعي. بكلمة واحدة، إن الخطاب العربي في بعده الاستدلالي، حسب الجابري، ذو طبيعة لغوية بيانية، بعيداً عن الطبيعة العقلية المنطقية. فما هي حدود هذا الادعاء؟

أولاً: نؤكد مع الجابري أن التحدي الأول الذي رفعه القرآن الكريم في وجه منكريه هو إعجازه اللغوي؛ يقول أمين الخولي: "كانت الدعوة الإسلامية عملاً بلاغياً قوياً، أو شرطاً واضحاً من هذا العمل؛ إذ اعتمدت على حكم نقدي، وقامت على رأي في الفن القولي، تنتهي به إلى هذا الصنف من الكلام العربي (القرآن) مثلاً لا يحتذى وغاية لا تنال. فضلته وهو من صنف كلامهم على سائر ما عندهم، وجاهرتهم بما جاهرتهم به، من عجزهم المطبق على أن يأتوا بمثله ولو ظاهرتهم الجن وآزرهم أهل عبقر، ممن نطوهم كل فاخر باهر"²⁷.

إن هذا الإعجاز بجماليته البيانية لا يمكن أن يتحقق إلا بتصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية تصويراً حسياً تشخيصياً، انسجماً مع المستوى الإدراكي التخيلي للإنسان²⁸. ولا يمكن أن نعتبر الأمر قمعاً أو محاصرة تفكير، إلا أن تكون المرجعية اليونانية هي المحدد لنوع التفكير الذي نريده والذي يحاول مشروع الجابري تكريسه في كثير من جوانبه.

ثانياً: إن العقل ليس معنى مدركاً للجميع بطريقة واحدة، كما يذكر طه عبد الرحمن مما سنفصل فيه لاحقاً؛ فانسجماً مع التصور الوظيفي والتحول الذي يحكم الفكر الحركي المعاصر يقتضي الأمر اعتبار العقل فعالية إدراكية تختلف باختلاف المكان والزمان والمعايير التي تشترط فيها بحسب الأهداف المرسومة للنظر العقلي: إن التفكير العقلي يمكن أن يكون علمياً أو أدبياً أو فلسفياً²⁹.

²⁷- مناهج في النحو والبلاغة والتفسير والآداب، أمين الخولي، دار المعرفة، الطبعة الأولى، 1961م، ص 97

²⁸- ينظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ص 192 وما بعدها.

²⁹- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، ص 161

إن تناول الجابري للطبيعة الاستدلالية لأساليب البيان العربي لم تطبعه الدقة العلمية والوقوف عند أصول الإشتغال العقلي داخل الخطاب البياني العربي، فجاءت أحكامه معيارية أملت قناعات فكرية واختيارات منهجية قبلية؛ فالجابري في حديثه عن طبيعة الأسلوب البياني واللغوي العربي عموماً، غفل أنه باعتباره متكلماً للغة العربية من حيث هي لغة طبيعية ولغته الأم بالذات، كان ينطلق من مخزون ذاكري، بتعبير عبد القادر الفاسي الفهري، غير واع يجلي معرفته بتلك اللغة وملكته فيها؛ ومخزونه هنا عبارة عن معجم ذهني – نفسي، وأدوات لغوية وبيانية تساعده على تمثّل معاني الكلام وظيفية وأصواتاً، وتحكم بالتالي إدراكه اللغوي بمكوناته التحليلية، وليس الضوابط المنطقية الصارمة هي التي توجه إدراكه، والتي قد تساعده على تنظيم "فوضى الخطاب"، وليس في إدراك معانيه، وخلق حوارية تواصلية بين مخاطب ومخاطبين.

هذا هو مستوى إدراك البيان العربي، بنظرنا، بطبيعته الاستدلالية، وليس التمادي في ممارسة نوع من السجال العقلي "التقني" على الأسلوب البياني ورد أسسه إلى وعي مزعوم مستقى من عالم الأعرابي ومن مفهوم مبسط للبيان.

خلاصة:

لقد قدم الجابري مشروعه في نقد العقل العربي من خلال تناول علاقة اللغة بالفكر في الثقافة العربية. وقد سعى إلى تقديم ما يراه ضرورياً من مفاهيم ونظريات ونصوص وتأويلات لبناء رؤيته الإستمولوجية على أسس معرفية ونظرية ومنهجية متماسكة، بكثير من الجرأة والحشد والنقد، وهذا ما عرض مشروعه برمته للنقد والنقض، وأثار نقاشاً مستقيضاً وحاداً في الحقل الفلسفي والفكري والثقافي العربي. وكان الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن أبرز من تصدوا لنقد مشروع الجابري، مؤسساً لمشروع نقیض من حيث المداخل والآليات والمآلات، مع حفظ القيمة التاريخية والعلمية لمشروع الجابري، مما يجسد الجدل الحي في الفلسفة العربية، ويعمق قيم الحوار المثمر والاختلاف الباني بين مفكرين وفيلسوفين كبيرين بما يخدم تطوير الفكر العربي وتنشيط الثقافة العربية وترسيخ أعراف البحث العلمي الرصين في بيئتنا العربية. وعليه سيكون المبحث الثاني لهذا الكتاب فضاء لعرض مشروع طه عبد الرحمن، في شقه اللغوي، من خلال التفاعل النقدي مع مشروع الجابري.



لائحة المصادر والمراجع:

- نقد العقل العربي 1، تكوين العقل العربي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، 1991م.
- نقد العقل العربي 2، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، يناير، 1968م.
- نقد العقل العربي 3، العقل السياسي، محدداته وتجلياته، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية، آب، 1992م.
- نحن والتراث، محمد عابد الجابري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
- "التراث ومشكل المنهج"، محمد عابد الجابري، في: المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 1968م.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1987م.
- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت.
- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين، المكتبة العصرية، بيروت، دون تاريخ.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، حققه محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت.
- مدخل للسانيات سوسير، حنون مبارك، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 1987م.
- مناهج التأليف عند العلماء العرب، قسم الأدب، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، فبراير 1973م.
- النحو العربي وصلته بالفكر اليوناني، الجانب التاريخي"، المقرئ الإدريسي أبو زيد، مجلة المنعطف المغربية، عدد 5، 1413م/1999م.
- اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، الكتاب الأول، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 1985م.
- فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، 1975م.



MominounWithoutBorders



@ Mominoun_sm



Mominoun

الرباط - المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هاتف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com